الأدب الهادف الصالح

رسالة للحياة السامية

لفضيلة العارف بالله
الشيخ محمد الأودن

وإنما الأمم الأخلاق .

أخلاق الأمم والجماعات تنطبع وتتكيف على منهاج الآداب العامة الفاشية فيها . فإذا كانت الآداب العامة لأمة أو لجماعة مصادر لانبعاث غرائز الشهوات ونموها فإن مجارى تفكيرها تتجه إلى هذا الأفق النازل من آفاق النفس الإنسانية وتنحصر أعمالها وغاياتها ومقاصدها فى محيط هذا الأفق .

وهذا الأفق إذا سيطر على تفكير أمة وأعمالها فإن فهمها يقصر عن إدراك المعانى السامية الرحيبة للوجود الانسانى وتدور منازعها وميولها حول محيط وجودها الراهن ولذاتها المنقضية الفانية

وكل أمة تسير فى هذا المضمار وتتجه للوجه الأرضى من وجودها هذا الاتجاه الممعن الموغل لا تلبث أن تنحل عزائمها وتفقد قوة الصبر المقاومة لأحداث الأيام وتنازعها الأهواء وتتصادم فيها الرغبات والاتجاهات وتتغلب فيها روح الذاتيه والأثرة فيؤثر كل إنسان من بنيها مصلحته الخاصة على المصلحة المشتركة للأمة وما يؤديه للمصلحة المشتركة فإنما يؤديه فى حدود الذاتية بوجه من الوجوه .

وهكذا تتدرج هذه الموبقات وتجلب ما يناسبها من السجايا الرذولة المنكرة حتى يؤول أمر الأمة الى التفكك والانحلال .

ومهما طال بها الأمد فهذه النتيجة محتومة لها مالم تتيقظ فيها الحوافظ لكيانها الروحى وينشط دعاتها وأصحاب البصر والتبادرون للحقائق فيها الى السعى لتغيير اتجاه آدابها العامة الى وجهة صالحة لا تثير غرائز الشهوات ولا تجعل السبيل الى الرذائل معبدا

ميسورا . فعند ذلك يخف التفكير فى الشهوات . لأن بواعث هذا التفكير وحوافزه ليست قائمة فى الآداب الشائعة فى الأمة .

ويعود شطر كبير من تفكيرها ومجارى خواطرها واتجاه أحاسيسها وميولها إلى الناحية الروحية لوجودها فتعمل فى هذا الأفق الرحيب الذى يتسع للجميع ولا تتصادم فيه الرغبات فتبنى المجد الصحيح على أساسه القوى المتين .

ومثل الأمم فى هذين الاتجاهين مثل الفرد فى ذلك والشواهد على ذلك فى الفرد وفى الامم والجماعات كثيرة يخطئها العد والاحصاء .

هذا تحليل على موجز لتأثير الآداب العامة فى تكوين أخلاق الامم والجماعات وتكييفها . ومن هنا كانت الآداب العامة لأمة أو لجماعة مرآة تتجلى فيها شمائلها وأخلاقها ويقاس بها رقيها وانحطاطها فى معناها الصحيح لا فى معناها الزائف الموهوم .

ومن ادعى خلاف ما قلنا فدعواه مناقضة الحق والمنطق الذى يؤيده ثم هى غفلة عن السنن الكونية التى لم تتخلف فى الحقب المتتالية من تاريخ بنى الإنسان .

إذا تقرر هذا فإنه يبدو من الجلى أن من واجب الزعماء والقادة الذين يحملون لوية النهوض بالأمم مكافحة الآداب الماجنة المتهتكة الباعثة للغرائز الدنية وأن يتحروا جعل الآداب العامة الفاشية فيها ذات وجهة صالحة تبعث الفضيلة ولا تمهد للرزيلة ليتيسر تكوين الأخلاق الفاضلة فى الأمة فتتحد كلمتها وتقوى صولتها وينمحى منها صراع الأهواء وتبنى المجد على الأساس القوى الذى لا يعتوره وهن ولا اضمحلال .

وكل من يغفل من الزعماء والقادة عن هذا الأصل أو يتجاهله فإنما يلقى بأمته إلى التهلكة ويمهد لها سبل التناحر والفناء ويجعل رسالتها فى الحياة رسالة حيوانية أرضية شيطانية لا رسالة روحية سماوية رحمانية .

ومن واجب الشعوب ولا سيما العلماء أن تنبه هؤلاء الزعماء والقادة إلى خطر ما يسوقون الأمم إليه بالتغافل والتجاهل عن تقويم الآداب واجرائها على الصراط المستقيم لعودتها الى الرشد والصواب ويعملوا لبناء الاصلاح فى الأمم على أساس تقنية الفرد بالفضائل وتوجيه سير آدابها الاجتماعية . هذا الاتجاه . فان عبارة الفرد

بالفضائل وانتظام الآداب على سنن الاستقامة هما أصل كل رقى ونهوض وما وراءهما ، فظواهر سطحية إن لم تقم على هذا الأصل فانها لاتغنى ولا تفيد .

(الآداب العامة التى تكون الأخلاق الفاضلة لاتتحقق إلا بحماية القانون)

ثم إن الآداب الصالحة لتكوين الأخلاق وتكييفها لاتقوم إلا بالقوانين التى تحمى الفضيلة وتطارد الرذيلة فلا بد للأمة التى تريد صيانة آدابها من هذه القوانين الحارسة تهيمن على سيرها وتسيطر على مجرى آدابها ومسالك اتجاهاتها لئلا تنحدر الى مهاوى الرذائل والشهوات وتفقد ملكة الاشراف على التوجيه الصالح لأبنائها وتهيئة التربة الصالحة بالبيئة الصالحة لتربية أجيالها المتعاقبة فى محيط الطهر والعفاف والخصائص الإنسانية السامية .

وكل أمة تتهاون فى حماية الفضيلة ومطاردة الرذيلة ولا تشرع لتلك الحماية وهذه المطاردة القوانين الزاجرة الرادعة فهى فاقدة لمايشبه العقل فى نظام الأمم والجماعات فإن وضع القوانين فى الأمم والجماعات هو وضع العقل فى الأفراد بل إن العقل فى الأفراد قد يفقد السلطان على الأهواء إلا بمعونة من رهبة القانون الزاجر فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ،

ومن أجل هذا كان السلطان العادل ظل الله فى الأرض ، ولا قيمة لانسان بلا عقل كذلك لا قيمة للأمة بلا قانون يحمى الفضائل ويطارد الرذائل وتتوجه الأمة تحت سلطانه الى معانى الحياة الكاملة الشريفة وكما أن الصحة الكاملة للعقل الفردى ذات مرتبة واحدة تتلخص فى اكتمال تصوره لعوق الأهواء والشهوات عن الكمال الإنسانى اكتمالا يفضى الى تصحيح الإرادة وتصميمها على رفض هذه الأهواء العائقة والتخلى عنهـــا . كذلك الصحة لقانون الجماعة ذات مرتبة واحدة تتلخص فى أن يسد القانون سبل الرذائل ويحاربها ويحمى الجماعة من شرورها وأوضارها ويوجههم الى اقتناص الفضائل والرابح بها فيكون القانون عقلا كليا للعقول الفردية وربما تتبعه الأمة الى أقصى ما تستعد له من مراتب الكمال .

وبذلك تصلح لقيادة النوع الانسانى الى المثل العليا وتفتح السبيل أمام كل الامم لادراك هذه المثل السامية والتعلق بها

اللهم أنت المسئول أن تحقق لأمتنا هذا الكمال وأن توجه قلوب قادتها وزعمائها الى العمل لتحقيقه وأن ترزقهم قوة من لدنك وفهما لحقيقة السعادة الإنسانية إنك سميع الدعاء مجيب الرجاء .

محمد الأودن

أبو عبد الله الحسـين

قال معاوية وعنده أشراف الناس : أخبرونى عن أكرم الناس أباً وأماً وعماً وعمة وخالا وخالة . وجداً وجدة . فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . ثم قال :

هو ذا ، أبوه على بن أبى طالب . وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وعمه جعفر الطيار ، وعمته أم هانىء بنت أبى طالب . وخاله القاسم بن رسول الله ﷺ ، وخالته زينب بنت رسول الله ، وجده رسول الله ، وجدته خديجة بنت خويلد . فسكت القوم ونهض الحسين ، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال :

أحملك حب بنى هاشم على أن تكلمت بالباطل ؟ فقال مالك : ماقلت إلا حقا . وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق ، إلا لم يعط أمنيته فى دنياه ، وختم له بالشقاء فى أخراه بنو هاشم ، هم أنصركم عوداً وأورا كم زنداً . كذلك هو يامعاوية ؟ فقال معاوية . اللهم نعم